**لأستاذة المشرفة على المقياس : بن عيسى خيرة**

**مقياس : الإصلاح الديني في عصر النهضة العربية : ( مح + تط ).**

**المستوى : ماستر 1/ تخصص فلسفة عربية إسلامية .**

**السّنة الدّراسيّة 2020- 2021 .**

**المحاضرة الثالثة : الحركة المهدية :**

**الحركة المهدية :**

هي حركة دينية إصلاحية وإن كانت الأسباب التي قامت عليها سياسية بالدرجة الأولى ، إلا أن هذه الحركة كانت من حيث المنطلق الفكري ومن حيث وسائلها وأهدافها دينية خالصة .

قاد هذه الحركة محمد أحمد بن عبد الله ، ولد سنة 1844 بدنقلا بشمال السودان ، حفظ القرآن الكريم ، تلقن علوم الدين في صغره ، فدرس الفقه والنحو واطلع على الطرق الصوفية ، فكان من أهل الطريقة ، يعد شخصية بارزة علما وسلوكا إلتف حوله الكثير من الأتباع والمريدين ، خاصة عندما اعتقدوا أنه المهدي المنتظر ، وذلك بادعاء منه فلقب بذلك ، تنسب إليه الحركة المهدية إذ يعتبر قائدا فذا صاحب ثورة تاريخية ضد الاستعمار المصري الإنجليزي .

**نشأة الحركة المهدية :**

نشأت الحركة المهدية في السودان و مرت بمرحلتين أساسيتين :

**\*المرحلة السرية :** وهي المرحلة التي بدأ فيها المهدي بالدعوة سرا من خلال اتصاله ببعض القبائل والمريدين ، حيث عمل على نشر أفكاره ضمن مشروعه الإصلاحي ، فكانت دعوته قائمة على نصرة الدين والنهوض بالأمة الإسلامية من التخلف وتخليصها من الاستبداد المصري والانجليزي ، التف حينها حول المهدي جمهور كبير من الأتباع وآمن بدعوته ، خاصة وأن الكثير منهم اعتبره المهدي المنتظر الذي سيخلص الأمة وينقذها .

**\*المرحلة الثانية :** يؤرخ لها منذ 29 جوان 1881 ، وفي هذه المرحلة خرجت الحركة عن السرية والكتمان وخرج المهدي إلى الناس بخطاباته وتصريحاته ، وكان قد جمع خلال دعوته السرية الكثير من الحلفاء من عامة الناس ومن الصوفية ، وكذلك بعض حكام القبائل وحتى رجال الحكم ، فكانت دعوته ذات طابع ديني خالص .

**أسباب نشأة الحركة المهدية في السودان :**

\***الاستبداد المصري والبريطاني** وطبيعة الحكم الذي كان قائما على الظلم وانتهاك الحقوق وقمع الحريات ، وفرض الضرائب الباهظة على السكان وغيرها من الانتهاكات التي جعلت السودان في وضع متردي .

\***الثورة العرابية** التي قادها أحمد العرابية والتي ثارت ضد حكم السلطان خديوي توفيق في مصر سنة 1881 ، وقد كانت بمثابة حافز قوي ودافع للحركة المهدية والدعوة الإصلاحية التي جهر بها المهدي في السنة نفسها بعد شهور قليلة .

\***طبيعة المجتمع السوداني** وشدة تمسكه بمقوماته الدينية و صعوبة تأقلمه مع القوانين التي كانت تفرضها الحكومة المصرية ، والأمر الأكثر أهمية هو الإيمان الذي كان يسكن نفوس السودانيين بأن الله لا يرضى الظلم ولا يبقي الظالمين على ظلمهم ، وأنه سيرسل إليهم من ينقذهم من ذلك ، فاعتقدوا بفكرة المهدي المنتظر الذي سيخلصهم من ظلم الظالمين ، وكانت هذه الأفكار متواترة بينهم في الكتب الدينية المتداولة بين العامة والخاصة من الناس ، فاعتقدوا ذلك في المهدي ؛ أحمد بن عبد الله الذي التفوا حوله بقوة .

**مبادئ الحركة الإصلاحية المهدية :**

كانت هذه الحركة الإصلاحية قائمة على مبدأ الدين وضرورة العودة إلى مبادئ الشريعة الإسلامية والسنة النبوية ، وبذلك يمكن إقامة دولة إسلامية كاملة تشمل جميع أقطار الدولة الإسلامية ، وبها فقط يمكن إعادة المجد الحقيقي في الإسلام يقول : " طريقتنا لا اله إلا الله محمد رسول الله ، ومذهبنا الكتاب والسنة ، ما جاء من عند الله على رؤوسنا وما جاء من النبي على رقابنا ، وما جاء من الصحابة إن شئنا عملنا به وان لم نشأ لم نعمل به " ، وقال أيضا :" الأئمة الأربعة جازاهم الله خيرا ، قد درجوا ووصلوا إلينا كمثل الراوية وصلت الماء من منهل إلى منهل حتى وصلت صاحبها ، فهم رجال ونحن رجال ، ولو أدركونا لاتبعونا ..." منشورات المهدية ، محمد إبراهيم أبو سليم ، دار الجيل ط2 بيروت 1979م.

كانت هذه الحركة تقوم على ضرورة تحرير العقل من سيطرة الوضع الذي فرضه الحكم المصري على السودان ، ومن مظاهر الفساد والظلم والاستبداد الذي كان سائدا في البلاد ، وتؤسس لمفهوم بناء الدولة على مبادئ الدين .

إن الدولة العادلة والنظام الناجع هو الذي يربط السياسة بالدين ، فلا سياسة بدون دين ولا حكم بدون الرجوع إلى مقومات ومبادئ الحكم الإسلامي التي هي متضمنة في القرآن الكريم و السنة ، ذلك أنه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانت السلطة الدينية موازية للسلطة السياسية ، لذلك أعتبر المهدي أن الاجتهاد في فهم النصوص يجب أن يراعي متطلبات المجتمع وحاجاته ، والغرض من ذلك هو أن يكون التشريع نابعا من مبادئ الشريعة ، ومن ثمة كانت حركته نموذج للإصلاح الديني الذي يراعي مصالح الرعية وظروفهم وحاجاتهم .

تقوم الحركة المهدية كذلك على مبدأ ضرورة بناء الفرد وتقويم سلوكه من طاعة أوامر الله والانصراف عن كل ما نهى عنه ، والدعوة إلى الحياة البسيطة وإلى الزهد وعدم التأثر بحياة الترف التي يعيشها الاستعمار في السودان ، ومنه الدعوة إلى الحياة الروحية بدل الحياة المادية .

إلا أن هذا الكلام لا يعني أن المهدي كان يشجع الطرق الصوفية ، بل رغم أن بدايته كانت من التصوف ، إلا أنه عمل على إبطال تلك الطرق ، لأنها ولتعدد طرقها قد تكون سبيلا إلى افتراق الأمة وتشتتها ، وهذا لا يتلاءم ومبدأ الإصلاح الذي يقوم على الحزم والعزم ، أو كما يقول :" وأظن أن الحكمة في ذلك أن كانت الآيات تنسخ الآيات في زمن النبي حسب مصالح الخلق وكذلك الأحاديث تنسخ بعضها البعض على حسب المصالح ، كذلك الطرق الصوفية يجب إلغاؤها وتجاوزها مع الاحتفاظ بجوانبها الإيجابية و الاعتراف بفضل روادها وفقهائها من قيم التقوى والصلاح والمحبة والزهد التي نشروها بين الناس ، فاستمرارها يتعارض مع المهمات الجديدة لأن الطرق الصوفية بطبيعتها المحافظة وروحها الميالة للهدوء والخلوة وبحكم تعددها الذي يقود إلى تشتت ولاء الجماهير وتفرقها ، فإنها لا تتلاءم مع مقتضيات الإصلاح والتحرر التي تفترض وحدة جميع الناس وخروجهم من حياة السكينة والتأمل إلى سوح الجهاد والكفاح الوطني والقومي : الطريقة فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات ، فتلك سنة ، والمهدية أيضا فيها سنة : الحرب والصبر والحزم والتوكل ، والاعتماد على الله واتفاق القول " منشورات المهدية ، محمد إبراهيم أبو سليم ، دار الجيل ط2 بيروت 1979م.

قامت حركة الإصلاح الديني التي دعا إليها المهدي كذلك على إلغاء المذاهب الفقهية الأربعة (المالكي ، الشافعي ، الحنفي ، الحنبلي ) ، بدعوى العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى ومبادئه التي بني عليها ، ووضع مقابل ذلك مذهبا اجتهاديا انفرد به المهدي لوحده .

ولأنه ادعى المهدية فقد اعتبر نفسه واعتبره أتباعه صاحب مذهب يجب الأخذ به و طاعته ، وعلى أساس ذلك يجب محاربة كل من لم يبايعه على الطاعة ، فهو يقول :" هذا وقد أخبرني سيد الوجود بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله ، وكررها ثلاث مرات ، وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي ...فقد أخبرني به سيد الوجود يقظة في حالة الصحة ، وأنا خال من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصف بصفات العقل ، أقفو أثر الرسول بالأمر فيما أمر به والنهي فيما نهي عنه " منشورات المهدية ، محمد إبراهيم أبو سليم ، دار الجيل ط2 بيروت 1979م.

ومن ثمة اختص مذهب المهدي بتوحيد كل ما كان مشتركا بين المذاهب الأربعة ، وإلغاء كل ما اختلف فيه الأئمة ، وهو هنا لا ينكر على هؤلاء الأئمة اجتهادهم ولا يخطئهم ، بل يعتبر أن الوضع الذي تعيشه السودان لا يسمح بالالتفاف بهذه المذاهب والتعصب لها ، بل إن الإصلاح يفرض الوعي بالوضع المعاش والعمل على مواجهته ، فهو يرى أنه يجب التعامل مع الظروف الراهنة ومواجهتها بآليات تناسبها لا بمعطيات عصر سابق ومختلف عليها .